الدكتور ناهض قديح

حكاية حروفنا الأبجدية مع الإبداع

تمهيد

كلنا يعلم أن الكتابة، ومنذ بدايتها، كانت تهدف لتقديم خدمات رسمية، كتسجيل حسابات ضرائب الدولة، وإحصاء السكان، وتسجيل الوقائع والمناسبات.. وقد إستخدم الإنسان عقله الذي زوده به الخالق؛ فجفف الطين، وإستعمل الآلات الحادة كالإزميل للحفر والكتابة على الأحجار وغيرها..

والإنسان يحتاج منذ وجوده إلى الكتابة لأنها من أهم طرق التواصل بين الناس، وتساعده على قضاء حوائجه. ويعد إكتشافها بصمة مضيئة في تاريخ الإنسانية.

وإذا أردنا الإشارة إلى أهمية الكتابة، نرى أنها وسيلة لحفظ العلوم والخبرات والتجارب الحياتية، وللتعبير عن المشاعر الدفينة. وهي طريقة من طرق الإبداع، وإبراز المواهب والقدرات، كما هي وسيلة للتنفيس عن مكنونات النفس الداخلية، ولها الدور الكبير الفعال في زيادة معلومات الإنسان وتكثيرها، وتنمي قدرته العقلية[1].

1-الكتابة قديماً:

لقد تنوعت الكتابة تبعاً للحروف والشعوب؛ فالكتابة بالأسلوب المسماري (وهي الحروف البابلية والأشورية القديمة Babylonian)، كانت تتميز بالشكل الأسفيني، والتي صنعوها من العظام والغضروف عام 3000 ق.م. في مناطق نهر الفرات، وقد تبنتها

[1] محمد مروان، أهمية الكتابة، موقع موضوع الإلكتروني: www.mawdoo3.com

شعوب أخرى وإستخدمتها. أما الفراعنة فقد إستخدموا أوراق نبات البردى (نبات النب Papyrus) التي كانت تنمو على ضفاف النيل، وذلك لتسجيل المعلومات الثقافية ق.م. وإستنبط الفراعنة طريقة الكتابة المسماة بالهيروغليفية، وهي كتابة الكهنة. وإعتمدت حروف على شكل صور للطيور والحيوانات والحراب والشمس والوجوه[2].

2-الكتابة عند العرب:

إستخدم العرب الطين المجفف بعد تعرضه للشمس أو الأفران، ومن ثم الكتابة عليه بإستخدام أقلام مصنوعة من أغصان الأعشاب. أما أصول الحروف، فقد أخذت من الحروف الأبجدية السامية الجنوبية South Semitic Alphapet، ثم تطورت لعدة أشكال عرفت باللهجات Dialects أي تتبع المناطق المختلفة مثل اللهجات الثمودية مثلاً، كما إستخدم العرب الكتابة بإسدام الحروف الآرامية Aramic في سنة 106 ميلادي. لكن المراجع العربية القديمة تثبت أن الكتابة والمخطوطات العربية القديمة نشأت عن اللغة النبطية Nabataean. أما في العصور العربية القديمة، فكانت هناك أساليب متعددة للكتابة: كالطريقة الكوفية، التي كتبت بها معظم القصائد والمعلقات، والتي تتكلمها قبائل متعددة وبلهجات مختلفة، وكانت بعض الكتابات غير منقطة، ثم جاء التنقيط فيما بعد. أما نشوء اللغة العربية وتطورها فكان عبر مراحل، وظهرت كأحرف عربية أبجدية بالتدريج من أصول متعددة، بدأت عام 1500 ق.م. حتى وصلت إلى الحروف الأبجدية المتأصلة في عام 200 ميلادية[3].

3-التسلسل التاريخي للأبجدية:

[2] عميش يوسف عميش، نشأة اللغة والحروف الأبجدية، صحيفة الرأي. الموقع الإلكتروني: www.alrai,article.com
[3] تاريخ الأبجدية العربية/المعرفة، الموقع الإلكتروني: www.m.marefa.org

4-إن الأصول التي ظهرت من خلال الحروف الأبجدية للغات الشعوب التي سبقت اللغة العربية، يمكن وضعها حسب رأي المؤرخين كما يلي:

- الحروف السينائية Sinai: 1500 – 1600 ق.م.
- الحروف الأوغاريتية Ugarit: 1300 – 1400 ق.م.
- الحروف البيبلوسية Byblos: 1000 – 1300 ق.م.
- الحروف الهيراطيقية Hiratic: 700 ق.م.
- الحروف المؤابية Moab: 900 – 1000 ق.م.
- الحروف الآرامية Aramic: 900 ق.م.
- الحروف النبطية Petra: 400 – 1000 ق.م.
- الحروف العربية الجنوبية South Arabian: 300 ق.م. – 700 م.
- الحروف التدمرية Palmyrenean: 44 – 272 م.
- الحروف السريانية Syriac: 200 م.
- الحروف المندائية Mandean: 600 م.
- الحروف اللاتينية Latin: 900 م.
- الحروف العربية Arab: 200 م.

هناك تشابهاً في هذه اللغات، وإختلاف في عددها[4].

5-حروفنا الأبجدية وترتيبها:

تعرف الحروف الأبجدية على أنها الحروف المستخدمة في اللغة العربية كتابة ونطقاً. فقد خضعت هذه الحروف، التي عددها ثمانية وعشرين حرفاً، لترتيبات مختلفة وهي:

[4] www.ar.m.wikipidia.org تاريخ الأبجدية، ويكيبيديا، الموقع الإلكتروني:

أ- ترتيب أبجدي وتم تفريعه إلى: حروف سامية، أي من أصل سامي وعددها 22 حرفاً وهي: أ-ب-ج-د-هـ-و-ز-ح-ط-ي-ك-ل-م-ن-س-ع-ف-ص-ق-ر-ش-ت.
وإلى حروف عربية، عددها ستة حروف، أضيفت إلى الأصل السامي، وسميت بالروادف وهي: ث-خ-ذ-ض-ظ-غ.
وقد سمي هذا الترتيب بالأبجدي نسبة إلى الكلمة الأولى منها وهي: أ-ب-ج-د (أبجد).

ب- ترتيب هجائي، وهو الأكثر إستعمالاً وتداولاً. إعتمد على تشابه أشكال الحروف من حيث الرسم. فجاءت على الشكل التالي: أ-ب-ت-ث-ج-ح-خ-د-ذ-ر-ز-س-ش-ص-ض-ط-ظ-ع-غ-ف-ق-ك-ل-م-ن-هـ-و-ي[5]، وطبعاً بدون الألف لام (الـ).

6-حروفنا الهجائية والإبداع:

ما نود الإشارة إليه هنا، هو أن ما كُتب بلغتنا العربية منذ قرون وفي الحاضر وما سيكتب لاحقاً، وفي كل الفنون الأدبية، كالشعر والقصة والحكاية والرواية، والخطابة والمقامة والمقالة، كان وسيكون دائماً بإستخدام هذه الحروف فقط لا غير.. وإن إختلفت الفنون الأدبية من مجتمع إلى آخر، ومن شعب إلى آخر، تبقى تعتمد وترتكز على إستعمال المفردات، وتشكيل الجمل بجمالية مميزة، والتعبير عن الأحاسيس والمشاعر الإنسانية.

وإذا كان الله قد زوّد الإنسان بالعقل، الذي إستخدمه، منذ وجوده، لحل المشكلات التي واجهته، وكان دافعاً له في تطوير حياته وأدواتها التي سهلت له سبل التعامل مع الطبيعة،

[5] www.mawdoo3.com ترتيب الحروف الهجائية، موقع موضوع الإلكتروني:
وأنظر: وليد سليمان، أسرار الحروف في "العربية"، صحيفة الرأي، الموقع الإلكتروني: www.alrai.com

فأبدع في مجالات كثيرة ومتعددة. فالإنسان المبدع هو من إمتلك القدرة على الإتيان بالجديد في كل مجالات الحياة، أو التمكن من تطوير ما هو موجود، والإضافة على كل قديم..

فالإبداع "في صميمه يعني القدرة على رؤية الأشياء بطريقة لا يستطيع الآخرون رؤيتها، فهو مهارة تساعد في العثور على وجهات نظر جديدة لإنشاء حلول خلاّقة للمشاكل. ويتميز الشخص المبدع بالقدرة على إدراك العالم بطرق جديدة، وإبتكار أنماط خفيفة، وإنشاء روابط بين الظواهر التي قد تبدو للوهلة الأولى بأنها غير متصلة.. ومن أهم العناصر التي تسهم في تطوير الإبداع لدى الإنسان ومظاهره هي: التخيل – المرونة – إتخاذ القرارات – التعاون – التواصل والتعبير – الدوافع والتحفيز – الرياضة والتمرين"[6].

والإبداع هو "شكل راقٍ للنشاط الإنساني... ولهذا فالتقدم العلمي لا يمكن تحقيقه من دون تطوير القدرات المبدعة عند الإنسان، وهذا التطوير من مهمات العلوم الإنسانية العامة، وعلم النفس في دراسة الإبداع خاصة"[7].

أما علاقة الإبداع الإنساني مع الحروف الأبجدية، يكمن بالقدرة على ترتيبها بإتقان، وطريقة تشكيلها، وتنظيمها، ومقاصدها، وتوزيعها، وإستعمالاتها، وإختيارها، وتمكينها، وبنائها، ومتانتها، وموالفتها، وتقديم الإنتاج الجديد من جمعها.. وإذا كان الإبداع يتوزع بين نوعين هما:

- الإبداع العلمي التقني (البيولوجيا والطب – صناعة المحركات – مجالات التعدين...).
- الإبداع الفني (الموسيقى – التصوير – الرسم...).

[6] www.mawdoo3.com عمر اللحام، ما معنى الإبداع، 20 آذار 2019، موقع موضوع الإلكتروني:
[7] ألكسندرو روشكا، الإبداع العام والخاص، ترجمة غسان عبد الحي أبو فخر، عالم المعرفة الكويتية، عدد 144، ص 13.

قد يبدو أن هذين النوعين لا علاقة لهما بالحروف الأبجدية. لنجيب: إنهما لا يستغنيان عن إستخدام اللغة والحروف الأبجدية للتعبير عن نتائجهما، وشرح التفاصيل المتعلقة بهما.

7-الخاتمة:

بعد هذا العرض لحكاية حروفنا الأبجدية، ومسيرتها عبر العصور، نؤكد أن العقل الإنساني هو وراء العمليات الإبداعية التي تمتعنا بها في السابق وفي الحاضر، وما سنستمتع به في المستقبل، وذلك من مبدعين إستخدموا هذا العدد المحدود لحروفنا الأبجدية بفكر متجدد وتقنية عالية. والحقيقة أنهم قدموا لنا أساسيات ومقومات التطور الهائل الذي نعيشه الآن؛ من إقتحام الفضاء وإكتشافه، والمركبات المتقدمة، والصواريخ العابرة للقارات، والتكنولوجيا بمجالاتها المتعددة، والإلكترونيات التي نقلت الإنسان إلى عالم آخر، ولا نعلم في المستقبل كيف تكون الحياة...